مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص390– ص413
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمود لعرج 1948 – 2021

سيـرة ومسيـرة وقدوة

Professor Abdelaziz Mahmoud Laraj (1948-2021)

Biography and march

د/ مصطفى داودي

جامعة الشهيد زيان عاشور/ الجلفة

تاريخ الاستلام: 06/ 06/ 2022 تاريخ القبول: 12/ 06/ 2022

Abstract

The study of the life of the late Professor Dr. Abdulaziz Al-Araj, can only be understood by understanding his biography, starting from childhood and youth, which was already the largest source from which his personality was formed. . Societies are built on continuous accumulation. As for the other successive stages, their fruits were considered after effort, patience and challenge, and they are in themselves new challenges that resulted from the personality of Abdelaziz Mahmoud Al-Araj, who has retained a place for himself in the history of Algerian memory, that he will not mention archeology in Algeria, except to mention it as one of the basic building blocks that laid a stone The basis for this science in Algeria.

الملخص:

الدارس لحياة الفقيد الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج المتوسطة أو المتأخرة لا يمكن فهمها إلاّ بفهم سيرته انطلاقا من مرحلة الطفولة والفتوة ، والتي كانت بحق المعين الأكبر الذي تشكلت منها شخصيته ، فإذا ما أمكن فهم حياته الأولى هذه استطعنا أن نفهم حياته اللاحقة لأن حياة الإنسان مثل حياة المجتمعات مبنية على تراكمات مستمرة ، أما المراحل الأخرى المتعاقبة فعدّت بمثابة الثمار بعد الجهد والصبر

والتحدي ، وهي بحدّ ذاتها تحديات جديدة أثمرت على شخصية عبد العزيز محمود لعرج التي حجزت لنفسها مكانا في تاريخ الذاكرة الجزائرية ، باعتبار أنه لن يذكر علم الآثار في الجزائر ، إلاّ ويذكر كأحد لبناته الأساسية التي وضعت حجر الأساس لهذا العلم في الجزائر.

1. مقدمة:

جبل الإنسان في هذه الحياة منذ بدء الخليقة إلى اليوم على التحرك باستمرار لتحسين أحواله وأوضاعه ، وهو في ذلك قد مرّ بمراحل فارقة ، كان الوجه المضيء فيها دائما هو الإبداع في سبيل تحقيق التنمية والتطور في شتى شؤون الحياة ، وقد أنبنى عن هذا الإبداع ما يعرف بالوثبات الحضارية عند الشعوب ، والتي ارتقى فيها الإنسان ، حتى وصل إلى ما نراه عليه اليوم من تطور مادي ملأ الآفاق ، وحين البحث عن سر هذه الوثبات الحضارية عند الشعوب ، نجد سرها يكمن في فاعلية الإنسان ، من خلال صفوة المجتمع وقدوته ، وهم العلماء الذين كانوا عبر العصور أقرب الناس إلى فهم الحياة ، وأسرعهم تحرّكا لخدمة المجتمع وتحسين أحواله ، لذلك يفنى الناس ولا يفنى هؤلاء وإن غادرت أجسادهم الحياة ، لأنهم خلّدوا أنفسهم بما أبدعوا فيه ، وورّثوه من علم للمجتمع بعد مماتهم ، وبما أبقوه أيضا من أجيال نهمت من علمهم ، وكتب خلّدت مآثرهم .

وقد عبّر عن ذلك شعر العرب تعبيرا دقيقا ودالا ، جاء فيه:

ما الفخـر إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء**

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء**

ففز بعلم تعش حيـا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء**

نعمة العلماء هذه لم يختص بها شعب دون شعب أو أمة دون أمة ، بل هي ميزة للإنسان في كل زمان ومكان ، وفي زمننا المعاصر لم تشذ الجزائر عن باقي المناطق في إنجاب علماء ومشايخ ، كان لهم الجهد الأكبر في تغيير حال المجتمع نحو الأفضل ، ومن نماذج هؤلاء الذين آثرنا الوقوف على حياتهم ومآثرهم شيخ من شيوخ التاريخ وركيزة من ركائز علم الآثار في الجزائر ، وفي الوطن العربي عموما ، وهو الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمود لعرج ، الذي كان عنوان حياته الأبرز هو التضحية بكل أشكالها ، وفي

مجال العلم كانت أكبر، وحين الغوص في شخصيته ، نجد بأن للتضحيات في حياته سرّ كبير، قد استقاه من مراحل طفولته الأولى ، والتي كانت قاعدة عظمى لصقل شخصيته بمختلف معاني التضحية والصبر والأخلاق في أجمل صورها ، لذلك آثرت أن أتناول بشيء من التفصيل والتحليل مرحلة طفولته الأولى ، والتي كانت مكسوة في غالبها بالهموم والترحال والتحدي والتضحية بكل أشكالها ، لتعقبها مرحلة التمكن والريادة في المجال العلمي حتى جعل من نفسه أحد اللبنات الأساسية التي تأسس من خلالها علم الآثار في الجزائر وتعدى إشعاعه العلمي حدودها ، حتى أصبح يستفاد من خبراته الأثرية في كثير من الدول العربية ، بناء على ما ذكرنا جاء مقالنا هذا موسوما بـ:

الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمود لعرج 1948 – 2021

سيـرة ومسيـرة وقدوة

جاء اختيارنا لهذه الموضوع كون أن المرحلة الأولى من حياته ، شكّلت قاعدة التكوين الأساسية لشخصيته ، وبالتالي فإن الدارس لحياة الفقيد المتوسطة أو المتأخرة لا يمكن فهمها إلاّ بفهم مرحلة الطفولة والفتوة ، والتي كانت بحق المعين الأكبر الذي تشكلت منه شخصية الفقيد ، فإذا ما أمكن فهم حياته الأولى هذه استطعنا أن نفهم حياته اللاحقة لأن حياة الإنسان مثل حياة المجتمعات مبنية على تراكمات مستمرة ، أما المراحل المتعاقبة فعدّت بمثابة الثمار بعد الجهد والصبر والتحدي ، وهي بحدّ ذاتها تحديات جديدة أثمرت على شخصية عبد العزيز محمود لعرج التي حجزت لنفسها مكانا في تاريخ الذاكرة الجزائرية ، باعتبار أنه لن يذكر علم الآثار في الجزائر ، إلاّ وذكر كأحد لبناته الأساسية التي وضعت حجر أساسه ، وللوقوف على هذه السيرة نعالجها وفق النقاط التالية:

01 – التعريف بالبيئة التي ولد وتربى فيها الشيخ عبد العزيز لعرج

02 – حياته من ولادته وحتى وفاة أمه (1948 – 1957م)

03 – حياة التحدي بين بازول والكنار (1957 – 1959م):

04 – حياة الترحال بين قسنطينة وسطيف والاستقرار في الجزائر العاصمة (1959 – 1968م)

05 – مرحلة الدراسة بجامعة الجزائر (1969 – 1973م)

06 – مرحلة الدراسة في جامعة القاهرة (1975 – 1982م)

07 – مسيرته في الجزائر ومنجزاته حتى وفاته (1981 – 2021)

01 – التعريف بالبيئة التي ولد وتربى فيها الشيخ عبد العزيز لعرج

ولد الأستاذ عبد العزيز محمود لعرج في ولاية جيجل ، هذه المنطقة التي تقع بالشمال الشرقي للجزائر وتمتد من سوق الإثنين وخراطة وحدود مدينة سطيف غربا إلى وادي زهور والميلية وميلة والقرارم شرقا ، ومن البحر المتوسط شمالا ، إلى الحواف الشمالية من مصب واد بوغريون شرق بجاية إلى رأس العشايش غرب مدينة القل ، أما الناحية الجنوبية فتمتد من السفوح الجنوبية لجبال البابور إلى جبال سيدي إدريس بالقرارم ، واللافت أن أغلب أراضي هذه المنطقة عبارة عن جبال ووديان ، ولا تشكّل فيها السهول إلاّ نسبة قليلة[1].

وبخصوص أصول السكان فيها ، فيمكن أن نحدد تفاصيله بناء على المصادر العربية ككتابات ابن الأثير وبن خلدون ، والرحالة المغربي (الحسن الوزان الفاسي) المشهور باسم (ليون الافريقي) ، وكذلك الكتابات الفرنسية التي فصلت كثيرا في عروش هذه المنطقة[2] .

وبناء على ما ذكرنا يمكن أن نخلص إلى أن أصول السكان فيها ، أثير حوله جدل كبير ، إلا أن المتأمل من خلال التطور التاريخي وتوزع السكان عبر المراحل التاريخية ، يمكن أن يخلص إلى أنهم ، كانوا يتوزيعون بين أربعة عناصر أساسية هي:(الأمازيغ ـ الذين عرفوا في المصادر بالبربرـ والعرب والأتراك والأندلسيين) ، وقد انصهر جميع هؤلاء فيما بينهم مع الزمن فكونوا بذلك المجتمع الجيجلي[3] .

أما عن الواقع الاجتماعي الذي عرفته منطقة جيجل إبّان الفترة الاحتلالية ، فكان لا يميزه إلاّ البؤس والشقاء واستيلاء المستوطنين الفرنسيين بواسطة الآلة العسكرية على كل مقدّرات الأهالي من خلال الإبادة بأبشع الصور ومصادرة الأراضي ، وبات فيها غالبية الأهالي يعيشون البؤس بكل صوره من جهل وفقر ومرض[4].

في هذه البيئة التي لا ميزة لها إلاّ خدمة الأرض وتربية الماشية في ظل تسلط احتلالي رهيب كانت تعيش عائلة الأستاذ عبد العزيز لعرج وفيها ولد وترعرع وأبصر الحياة ، وبالتالي فإنه أوّل ما بدأ يعرفه في هذه الحياة هو شقاء الاحتلال وقهره للناس وما ترتب عنه من كل ميزات البؤس والتخلف في المجالات كلها.

02 – حياته من ولادته وحتى وفاة أمه (1948 – 1957م)

من جبال جيجل الشامخة ولد الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمود لعرج يوم 18 مارس 1948م بمنطقة"عميرة" الواقعة "بسيدي عبدالعزيز"[5] ، في جو عائلي تميّز بالترابط في العلاقات الاجتماعية ، وفي أجواء غلب عليها النشاط الفلاحي ، باعتبارها الميزة الأبرز للمنطقة خلال تلك المرحلة ، في ظل تضييق شديد من قبل الاحتلال الفرنسي ، لم يجد أهل المنطقة له من بدّ سوى التعايش معه إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ، وكان يلازم هذا التعايش حياة الكدح والتعب في تحصيل الرزق ، ومع ذلك كانت نفوس الجزائريين قوية شامخة لم تنل منها آلة الاحتلال وجبروته رغم كل سياسات فرنسا في كسر ذلك الشموخ ، بل كانوا يواجهونها بتحدّ عجيب ويقاومونها بكل الأساليب المتاحة ، ومن أعظم تلك المقاومة تنشئة الأجيال على قيم وثوابت وهوية هذا الشعب ، وذلك من خلال الحفاظ على تعليم الأولاد رغم الظروف القاهرة ، وكان الطفل عبد العزيز لبنة من ذلك النشء ، حيث بدأ يتعلم مثل أقرانه منذ أن تفتقت بصيرته لإدراك هذا الواقع والظروف الاحتلالية القاسية ، وكانت وجهته المسجد والكتّاب نواة التكوين الأولى لدى الجزائريين ، وقد ذكر لي الأستاذ عبد العزيز ، أنه لا زال يذكر خطواته الأولى في التعلم سنة 1952م وقد بلغ من العمر ما يقارب الأربع سنوات ، نحو مسجد (سيدي أحمد) الشامخ في جبال جيجل الشامخة ، والذي كان يشرف عليه الشيخ خليفة عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقد بني هذا المسجد على مرتفع عال بشكل تحفة معمارية يراه الكلّ من بعيد ـ وكأن هذا المسجد بموقعه هذا يتحدى فرنسا وسياساتها بشموخ عال[6] ـ

كان هذا المسجد عبارة عن مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تميزت بمنهاجها الثري والمتنوع ، من خلال مواده التعليمية المتنوعة والممتازة مثلما وصف الأستاذ لعرج ، حيث جمعت بين :(اللغة العربية والقواعد والحساب والتاريخ ، بالإضافة إلى مواد الشريعة والأدب والشعر وغيرها) ، كانت أم عبد العزيز (زهرة) تتحمل شؤون تعليمه نظرا لانشغالات والده الكبيرة ، فلم تكلّ يوما عن أخذه إلى هذا المسجد للتعلم ، وقابلها ابنها عبد العزيز بحسن الحفظ والحرص العالي على التعلم ، ولم تبلغ نهاية سنة 1956م ، إلاّ وقد برع في تعلم اللغة العربية وقواعدها بإتقان وجوانب من التاريخ والشريعة ، يضاف لها أساس التعليم القويم من خلال تقدمه الكبير في إتمام حفظ القرآن ، رغم سنه الصغير[7].

انطلاقا من منتصف الخمسينيات تغيرت الظروف رأسا على عقب في المنطقة ، حيث ما بقي الشعب الجزائري المسكين مستكينا لظروف الإقلال والكدح التي عاشوها في ظل الاحتلال الفرنسي ، بل أعلن الشعب ثورته ضد الاحتلال ، وكانت جيجل جزء متين من هذه الثورة ، حيث كان انخراط الشعب فيها كبيرا خصوصا سكان الأرياف ، التي سارع فيها الفلاحون بالانخراط في الثورة وتأييدها من قبل الأسر عامة[8] ، وكان من بين تلك الأسر السباقة ، عائلة الطفل عبد العزيز التي انخرطت منذ البدايات الأولى ضمن جيش التحرير الوطني ، وكانت لها أن تدفع بموقفها هذا ضريبة غالية ، من بينها إقدام السلطات الفرنسية على قنبلت منطقتهم بالمدافع والطائرات ، وكان أعظم شيء أحزن الطفل عبد العزيز هو تدمير فرنسا للمسجد الشامخ الذي كان يعتبر له أمل التعلم والارتقاء نحو مكانة أعظم وأفضل ، فإذا بهذا الأمل ينكسر بواسطة طائرات B25 والمدافع الفرنسية ، بل وضاعفت فرنسا عنجهيتها بالتضييق على السكان بصورة أكثر شدة وقساوة لغاية إخراج السكان من الجبال ، وقد بقيت هذه الصورة لمعاملة الاحتلال للجزائريين عالقة في ذهن الأستاذ عبد العزيز الطفل وبقيت له غصة كره معها فرنسا وكل من يشيد بها أو يظهر نحوها الودّ ، وأن دك هذه المناطق قد استمر طيلة سنة 1957م ، مما اضطر عائلة محمود لعرج (الأب) ترحل من تلك المناطق مكرهة ، وتنزل بالقرب من منطقة (مزاير) في منطقة تسمى (غارلكبير) عند سفح جبل فيها ، وقد بقوا في هذا المكان ما يقارب الستة أشهر (6 أشهر) ، وفي ذات المكان شاءت قدرة الله

أن يفقد الطفل محمود أمه الحنون ، التي كانت تشكّل له القوة والسند والحماية والحنان في أجمل صوره ، لأنه كان لصيقا بها ، وقصة وفاة أمه كانت بالنسبة له من أعظم اللحظات سوادا في حياته ، لأنها ماتت وهو ينظر إليها بلا حول منه ولا قوة ، والسبب المباشر في ذلك هو الاحتلال الفرنسي ، حيث في هذا المكان وفي سنة 1957م ، كان هناك واد وفي سفح الجبل يسكن الناس ، وقد اعتادوا مثلما ذكر لي الأستاذ عبد العزيز على الدوريات العسكرية الفرنسية في كل حين ، وبصورة العنف والقهر العظيم على السكان ، وكلما كانت تأتيهم الدورية كان الشباب والرجال يفرّون نحو الوادي والمناطق الجبلية ، أما النساء فكانوا يصعدون إلى سفح الجبل عبر طريق التفافي ، حيث كانت توجد إحدى النساء الكبيرات على سفح ذلك الجبل ، وكانت قوية مهابة وكأنها رجل لشدة تصديها للجيش الفرنسي ، وفي هذه المرة كانت والدة عبد العزيز حاملة بإحدى أخواته ، ولما جاءت الدورية أمسكت الأم بيد عبد العزيز وأخته ذات السنتين ، وانتقلت مسرعة تريد الصعود إلى صفح الجبل كالعادة ، إلاّ أنها بدل ما تأخذ الطريق الالتفافي نحو السيدة على سفح الجبل صعدت بشكل مباشر ، وهو ما أثر عليها حيث أجهدت كثيرا حتى وصلت لسفح الجبل ، ولما غادرت الدورية الفرنسية عادت الأم مع أبنائها نحو بيتها ، وبمجرد وصولها بدأت تشعر بالارهاق والعياء الشديد ، لتفقد الوعي وتحين ساعة الرحيل في لحظة ذهول من الأبناء وأكثرهم الطفل عبد العزيز الذي كان يعتبرها سنده الأكبر ، إلاّ أن قدرة الله شاءت أن تفيض روحها وهو يرصد هذه اللحظة التي كان يعتبرها المنعرج الأكبر في حياته ، لأنه فقد معها السند والحنان والأمل ، بل فقد معها الطفولة بكل معانيها ، ليبدأ في استقبال الحياة وحيدا وهو في سن التسع سنوات[9] .

03 – حياة التحدي بين بازول والكنار (1957 – 1959م):

لما بلغ الشيخ عبد العزيز ستة سنوات انقلبت الأوضاع حوله رأسا على عقب وذلك نظرا لما شهدته من تغيرات مهمة جعلت مسار حياته ينقلب جذريا، ومن أبرز تلك المتغيرات :

- اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 والتحاق أعمامه بها في ناحية سكيكدة ، شكّل وضعا جديدا لأسرته باعتبار أنهم أصبحوا مستهدفين من قبل جيش الاحتلال ، حتى أن أباه محمود قد بات يعيش حياة الفرار والاختباء نظرا للمتابعة الفرنسية لعائلتهم .
- تدمير فرنسا للمسجد الأول الذي رأى فيه نور العلم فما عاد يجد أين يتعلم .
- موت الحضن الحاني والملاذ الأمن للطفل عبد العزيز إنها أمه مثلما ذكرنا.

وقد ذكر لي الأستاذ عبد العزيز ، بأن وفاة أمه كان منعرجا كبيرا في حياته ، وأنه بوفاتها ماتت معاني العطف والحنان التي كان يشعر بها في ظل الوضع الحزين الذي وجد عليه حال أهله ، وقد زادت المتغيرات التي ذكرناها للأوضاع السيئة أصلا ، لدرجة أن العيش مثلما قال لي في بيئة طفولتي الأولى قد بات مستحيلا ، نظرا لسوء الأوضاع فيها ، والتي بات لا يميّزها إلاّ الموت ـ إما أن تموت بالجوع ، أو تموت بالرصاص ـ

وبناء على هذا الوضع المستجد أمر الوالد محمود إبنه عبد العزيز بضرورة الذهاب إلى خالته في منطقة (بازول) ، لمواصلة الدراسة عندها ومغادرة منطقة الطفولة الأولى .

نهاية سنة 1957م جاء الطفل عبد العزيز إلى خالته والتي كانت تمثل أمه الثانية ، ليبدأ عندها مرحلة تحد جديدة ، اقترنت فيها حياة التعلم والاشتغال لأجل الاسترزاق حتى لا يكون عالة على أحد رغم سنه الصغير ، حيث كان يقوم بكل الأعمال الصعبة التي لا توائم سنه من رعى واحتطاب ، والاعتناء بالنباتات من زرع وتنقية وزبر وقطف وغيرها ، فكان يقول لي دائما كنت أقرأ واشتغل لأجل الرزق رغم صغر سني ، لكن رغم كل هذه الظروف لم تنكسر إرادة التعلم في داخلي أبدا ، بل كنت أنظر إليها تحديا ، لا بدّ أن أنجح فيه[10].

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص390– ص413
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مع حلول سنة 1958م بدأت سياسة ديغول تفعل فعلها لدى عامة الشعب ، خصوصا ما تعلق بسياسة تجميع السكان في المحتشدات ، حيث وضع الاحتلال محتشد (الكنار) ، وفي هذا المحتشد تحمّل الأب محمود إعالة عيش أربع أسر[11] ، من بينها أسر إخوته الذين التحقوا بالثورة ، وهم إخوته (بلقاسم أحمد ورابح) ، وكان عمله إما تجارة أو أي عمل يكسبه ما يعيل به تلك وقد عان في سبيل ذلك متاعب جمة ، وصلت لحدّ تحمّله المحن في معتقلات التعذيب[12] ، ونظرا لمستجد المحتشد أرجع الأب محمود ابنه عبد العزيز إليه حيث بقي عنده طيلة سنة 1958م ، في حياة جحيم عاش فيها بين الدراسة والأعمال الشاقة .

وفي هذه المرحلة بدأ الطفل عبد العزيز يتخذ قرارات مهمة في مساره التعليمي ، رغم صغر سنه في اتخاذ مثل هذه القرارات ، والتي رأى فيها بضرورة تنويع مشربه التعليمي ، من خلال الانتظام ضمن التعليم الفرنسي رغم رفض أبيه لذلك تماما ، بالموازاة مع مواصلة إتقان حفظ القرآن والعلوم الشرعية أيضا ، وهذه المرة كانت عند المعلم (قيعموش) ، الذي كان يعدّ عملة نادرة بقيت من مشايخ زمان في التعليم القرآني ، بالنظر لما كان يتميز به من الحرص والصدق والإتقان في تعليم الطلاب .

لما حلّ عند هذا المعلم للحظته الأولى سأله : كيف حالك مع القرآن ؟ ، فأجابه الطفل عبد العزيز وقد بلغ سن العشر سنوات بأنه يحفظه منذ مدة ، فقال له تعالى في الغد مع الفجر لاستظهار حفظه ، ومع الفجر الموالي قدم إليه ، وقد شكّل له لجنة استظهار يترأسها المعلم مع أنجب طلابه ، وقد بقي أمامهم في الاستظهار حتى أذان ظهر ذلك اليوم ، ولمّا رآه قد استكمل ذلك بنجاح ، جعله مسئولا على مجموعة من التلاميذ ، يرعاهم في تحفيظ كتاب الله ، وبقي على هذا الحال حتى سنة 1960 م ، أين سيبدأ مرحلة جديدة في حياته ميزتها التحدي الأقسى خارج جيجل هذه المرة[13].

04 – حياة الترحال بين قسنطينة وسطيف والاستقرار في الجزائر العاصمة (1959 – 1967م)

نظرا لظروف التضييق التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية على عائلة لعرج ، مما اضطر أخويه اللذين يكبرانه: (الطاهر ويونس) ، وهما في عمري (18و 13 سنة) ، واللذان خرجا من منطقة جيجل نحو قسنطينة ، حتى يأمنان قيام السلطات الفرنسية بالقبض عليهما ، وكانا من حين لآخر يقومان بزيارة الأسرة في جيجل خفية ، وفي سنة 1959 لما جاء أخوه الطاهر[14] خفية ورأى من حال أخيه ما رأى ، فأقنعه بالذهاب معه إلى قسنطينة ، فلما ذهب معه إلى هناك اكتشف واقعا آخر عند أخيه ، حيث كان هذا الأخير لا يثبت في مكان واحد نظرا لأنه كان متابعا من قبل الجيش الفرنسي ، مما جعله دائم التنقل بين قسنطينة وسطيف والعاصمة ، وطبيعة عيشه هذه انعكست أيضا على الطفل عبد العزيز الذي كان يتحمل هذه الظروف بألم شديد .

في قسنطينة كان يقيم معه في رحبة الصوف[15] بقلب قسنطينة ، أين كان يقتات أخوه الطاهر من حرفة صناعة الخبز والحلوى ، ورغم أن التحدي كان صعبا بالنسبة لعبد العزيز ، إلاّ أنه لم يتخلى أبدا عن التعلم ، حيث واصل دراسته في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برحبة الصوف ، حيث كان يتعلم علوم القرآن واللغة وغيرها من العلوم .

شكّلت ظروف المتابعة الفرنسية لأخيه الطاهر ، حالة عدم استقرار للطفل عبد العزيز ، حيث بمجرد ما أحس أخوه خطر المتابعة الفرنسية له في قسنطينة انتقل إلى مدينة سطيف ، ومعه انتقل أخوه عبد العزيز ، حيث أقاما في الحي القديم فيها[16] .

في سطيف كان الأمر مختلفا بالنسبة لعبد العزيز ، لأن تحديه الأكبر الذي لا يمكن أن يتنازل عنه هو التعليم ، ونظرا لعدم وجود مدارس تعليم فيها ، كان يصر على أخيه أن يجد له حلاّ ، ونظرا لانعدام الخيارات فلا قسنطينة يستطيع العودة لهما ولا حتى جيجل ، وبات الحلّ الوحيد هو الجزائر العاصمة ، لأنه يوجد فيها كثيرا من أقرانه من قريته في جيجل هناك ، فكان القرار أن يرسله أخوه هناك لإتمام تعليمه ، والنأي به عن ظروف المطاردة الفرنسية له[17].

من منطقة زوج عيون بالقصبة العتيقة بالعاصمة ، بدأت قصة الفتى عبد العزيز سنة 1960م ، من خلال تجربة مغايرة ومختلفة تماما عن المراحل السابقة ، ومنها ستبدأ قصة جديدة ، ليس لعبد العزيز وحده بل لعائلته كلها .

إلى زوج عيون بالعاصمة أرسله أخوه الطاهر لشخص كان يناديه عبد العزيز دائما بعمي أحمد بولعشب ، والذي كان له محل صناعة الجلد ، وبمجرد ما وصل إليه سنة 1960م رحب به ، وأعطاه مفتاح بيت متواضع بجواره ، كان يعيش فيه لوحده ويرعى شؤونه بنفسه ، ومع ذلك يؤكد بأنه لن ينسى فضائل أحمد بولعشب لأنه مثلما قال: " كان يرعاني ويتفقدني بحنانة مثل أولاده الذين كنت أدرس معهم." [18]

وفي سنة 1962 بعد الاستقلال بدأت العاصمة مستقرا لعائلة لعرج ، حيث قدم أخوه الطاهر إليها ، وفي السنة الموالية 1963 ، قدم أبوه محمود مع أسرته إلى العاصمة[19] ، لتبدأ مرحلة جديدة للفتى عبد العزيز تلتئم فيها العائلة لأول مرة ، ومعها بدأ في الانتظام في الدراسة وشق رحلة العلم الحقيقي التي ستصل به إلى مدارج عالية مع الزمن .

ويؤكد الأستاذ عبد العزيز بأنه رغم تكوينه التعليمي الجيد الذي فاق سنه ، إلاّ أن مساره الدراسي لم ينتظم حقيقة إلاّ بعد نيل الاستقلال ، نظرا لكل الظروف القاسية التي مرّ بها.

والبداية فيها كانت في مدرسة " الشبيبة" بشارع السودان بالقرب من جامع كتشاوة ، عند معلم يدعى لعرابة ، حيث درس فيها مدة ، ولأن قدر الانتقال كان ملازم له في حياته ، لم يتمم فيها ، لأن معلمه لعرابة انتقل إلى مدرسة المحافظين ، فأخذه معه ، لما رآه فيه من التفوق والنجابة والأخلاق العالية وفيها كان مجتهدا ومتفوقا على الجميع ، وبمجرد بدايته في مدرسة المحافظين وجد المعلمين بأن مستواه الدراسي عال جدا عن أقرانه ، وأن هناك فروق كبيرة بينه وبين التلاميذ وكلما وضعوا له اختبار مستوى ، إلاّ ونجح فيه ، فيرقونه للسنة التي بعدها وهكذا[20] .

وتمكن بالفعل في فترة جد وجيزة من اجتياز أقسام المرحلة الابتدائية و التحصل على شهادة السنة السادسة بعد أقل من سنتين ، ثم شهادة "انتهاء الدراسة Certificat de fin d'études"[21].

وحينما دخل إلى المتوسطة ونظرا لمستواه العالي رقي تباعا في سنوات المتوسط ، لينجح في شهادة المتوسط سنة 1967م ، وذكر لي ابنه محمود إلى أن بعد المسافة ومصاريف الكتب والدراسة عموما كان عائقا حقيقيا في دراسته ، مما اضطره إلى العمل قبل و بعد الدراسة و أيام العطل لتجميع المال اللازم ، فاشتغل كبائع و مسؤول حسابات في أحد المخابز في "ساحة الشهداء" ، كما كان مولعا أيضا بالكتب ، حتى أنه كان يفضل التنقل على الأقدام يوميا من "زوج عيون" إلى "الخروبةLa Glaciére"من أجل توفير المال لاقتناء الكتب[22] .

وكان عليه رحمة الله لما يسأله أبناؤه ، عن القدرة على التنقل يوميا من زوج عيون إلى الخروبة ، يبتسم ويقول لهم يا أبنائي ، زمان ما كنا نعير أبدا لبعد المسافات اهتمام ولا نحسب لها حساب ، لأن إرادتنا كانت قوية وشوق فينا كان أقوى ، لذلك فإن العوائق والمكبلات الذهنية أصعب بكثير من ما هو مادي ، وأعلموا بأن الإرادة القوية تتجاوز المكبلات والعوائق مهما كانت ، وأنها تقصّر المسافات وإن بعدت .

وبعد تخرجه من شهادة الأهلية ، كان الجو العام في الجزائر بعد فترة وجيزة من الاستقلال هو شغف التعلم ، وكان نقص المعلمين خلال هذه المرحلة شأن يؤرق الدولة الجزائرية في إطار إستراتيجيتها التعليمية ، وقد انعكس هذا التطلع على أبناء الجزائر المتعلمين ، الذين أرادوا بشوق أن يكونوا حلا لهذا الإشكال ، فأخذهم الشوق بذلك لخوض تجربة التعليم ، وكان الأستاذ عبد العزيز لعرج من بين هذه الفئة التي تاقت لأن تكون أولى لبنات المعلمين ما بعد الاستقلال ، فكان له ذلك ، حيث توجه منذ الصغر، نحو التدريس وهو لا يدري أن هذه الرسالة ستكون حياته إلى أن يلق الله ، وفعلا خاض أولى تجاربه كمعلم في المدارس الابتدائية بمجرد تحصيله على "الشهادة الأهلية" التي كانت تمكن حاملها من امتهان التدريس لنقص المؤطرين ، و كانت بداياته من "مدرسة النصر La Victoire" في "باب جديد" بحي "القصبة" ، ثم "مدرسة البنات أسطاوالي" و من ثم "مدرسة العربي تبسي" في "بلكور"[23] .

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وموازاة مع التدريس ، لم يتنازل أبدا الأستاذ عبد العزيز عن طموحه العلمي إلى أعلى الدرجات ، فكان دؤوبا على التحصيل العلمي ومنغمسا في تجميع و دراسة الكتب في شتى المواضيع و المجالات ، واللافت أنه لم يلتحق بالثانوية مباشرة بعد حصوله على شهادة الأهلية لعديد الاعتبارات منها شدة الحال وإلزامية العمل لأجل إعالة عائلته ، وهو ما لا سيتيح له الانضباط في التعليم الثانوي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن الثانويات كانت قليلة جدا في بداية الاستقلال ولا تتاح للجميع لعديد الظروف التي كانت تحيط بها ، خاصة مسألة التأطير ، وكان الأستاذ عبد العزيز من بين الفتية الذين لم تتح لهم هذه الفرصة ، ومع ذلك بقي شغوفا ومتطلعا لفرصة استكمال مشروعه التعليمي ، ولأجل ذلك لم ينقطع لحظة عن القراءة والمطالعة وإعلاء مستواه التعليمي .

وهو ما جعله يمضى بضع سنوات عصاميا يدرس ويكوّن نفسه بنفسه متّخذا من المقاهي والحدائق العمومية أماكن للمطالعة والمراجعة ، ويشهد له بذلك مقهى أول نوفمبر في ساحة الشهداء و حديقة الساعة في ساحة البريد المركزي.

والعجيب أنه رغم عدم خوضه لتجربة الدراسة في الثانوية ، إلاّ أن إرادته القوية جعلته يساير التعليم الثانوي بجهده الخاص ويصل بمستواه إلى ما وصل إليه طلاب التعليم الثانوي في نهاية مشوارهم ، وهو ما جعله يتقدم بكل ثقة سنة 1968 كمرشح حر لاجتياز امتحان البكالوريا ، وكان جزاؤه فيها التحصل على الشهادة وانفتاح آفاق التعليم الجامعي أمامه .

وقد مثّلت له هذه اللحظات أجمل الأيام ، لأنها كانت تتويجا له بعد صبر كبير ، وجهد لافت لازمه لسنوات ، وقد تخلى فيها كثيرا عما كان يعيشه أقرانه الشباب من تجوال ومرح ولعب وغيرها من حضوض الدنيا كثير ، إلاّ أن الغايات السامية بالنسبة له ، كانت دائما تجعله يستمتع بمساره وإن كان يبدوا لغيره تعب وانشغال .

05 – مرحلة الدراسة بجامعة الجزائر (1969 – 1973م)

في سنة 1969 التحق الشاب **عبد العزيز** بمدارج جامعة الجزائر ، ليبدأ فيها مسيرته العلمية ، وهذه المرة من قسم الآداب في اختصاص الأدب العربي ، أين أمضى سنته الأولى بتميّز عال ، بحيث أنهاها الأوّل في دفعته ، حيث برع في قراءة روائع الأدب العربي من روايات و أشعار ، ولما خبر بالمستوى العالي الذي وصل إليه هذا الحقل التعليمي في الوطن العربي ، وقارن مستواه وبما يمكن أن يصل إليه ، مع مستوى كبار الكتاب والأدباء العرب ، رأى بأنه ينبغي أن يغير التخصص ، وهو ما يبين بأن الأستاذ عبد العزيز كان منذ صغره يتطلع أن يكون رائدا من رواد العرب في تخصص ما ، لذلك رأى بأن حقل الأدب العربي لا يوصله إلى ما يطمح إليه ، ورغم أنه الأول في الدفعة فيه إلا أنه فضّل تغيير الاختصاص ، ورأى أنه لا أنسب له في تطلعه ، إلاّ قسم التاريخ والآثار ، فسجّل فيه ابتداء من سنة 1970 ، وفيه تعرّف على مجموعة من الأقران في ذات التخصص ، والذين تقاسم معهم الحوارات والجلسات العلمية ، بداية في بعض مقاهي العاصمة "كمقهى Tontonville" في ساحة "بورسعيد" ، ثم في المدرجات و المكتبات ، وهم الذين كان معهم في ريادة هذا التخصص (الآثار) في الجزائر ، وصاروا له أصدقاء العمر والتخصص والتطلع .

ومع نهاية سنة 1973 ، تحصل الأستاذ عبدالعزيز على شهادة الليسانس في التاريخ من كلية الآداب بجامعة الجزائر ، وينبغي أن نشير بأن تحديه التعليمي كان كبيرا ، باعتبار أنه كان يتعلم في الجامعة ، ولم يتخلى عن واجبه كمعلم في المدرسة الذي أشرنا إليه سابقا ، حيث كان يدرّس في متوسطة "العربي تبسي" .

مع بداية الموسم الدراسي (1973 / 1974) تقدم آنذاك بطلب منحة دراسية لمتابعة التعليم العالي خارج الجزائر لأنها كانت له حلما شجعه على تحقيقه نيله شهادة الليسانس ، إلاّ أن هذا الحلم لم يتحقق في حينه وتأخر لوقت بسبب عديد العراقيل الإدارية التي لم تكتمل إجراءاتها إلاّ سنة 1975 ، والوجهة كانت جمهورية مصر العربية .

06 – مرحلة الدراسة في جامعة القاهرة (1975 – 1982م)

مصر التي كانت واجهة جذبت حلم الطلاب العرب ، بالنظر للمستوى التعليمي فيها ووجود جهابذة التخصصات العلمية ، خاصة في التاريخ والآثار ، حيث تطلع الأستاذ عبد العزيز.

وصل إلى مصر سنة 1975 ، ليجد واقعا آخر مختلف عما كان يعيشه في الجزائر ، خصوصا الأجواء العلمية ، وفضاءات التعليم والمكتبات وحركية الكتب النشطة ، وهيبة جامعة الأزهر الشريف التي كانت قبلة لطلاب الجزائر لأوقات كثيرة أيام الاحتلال ، وتخرج من أجوائها مشايخ كثر.

كل هذا الواقع ألقى بضلاله على نفسية الأستاذ عبد العزيز وتطلعاته المستقبلية ، فما إن وصل إلى القاهرة ، حتى قادته خطواته الأولى فيها إلى جامعة القاهرة العريقة ، ليلتحق بكلية علم الآثار ، وسجل في أقسامها لتحضير شهادة الدراسات العليا في الآثار الإسلامية .

واقع القاهرة وأجوائها العلمية فرض عليه أن يساير هذا الرتم العالي ، وأن يسابق الزمن لأنه في حالة غربة عن الأوطان لأجل تحصيل العلم ، فلم يكن يشغله شيئ هناك إلاّ التعلم ومضاعفة الجهد واغتنام الإمكانات المتاحة ، والتي إن أتيحت لحظة ستغيب دهرا مستقبلا ، وقد مكنه هذا الجهد من تحصيل شهادة الدراسات العليا في الآثار الإسلامية ، بعد التحاقه بسنتين ، أي سنة 1977 ، وبتقدير جيد جدا ، وكان موضوع تخرجه فيها حول العمارة المملوكية " منشأة القاضي زين الدّين يحي بالقاهرة ".

اغتنام الفرص كان جزءا من عقلية الأستاذ عبد العزيز ، لأن مسار المعاناة الذي عاشه كان يفرض عليه ذلك ، بل ويمنحه القوة والتحدي في تحقيق الأهداف ، حيث مباشر بعد نيله تلك الشهادة ، سجل سنة 1978 في نفس الكلية لتحضير الماجيستير ، وقد كابد لأجل تحصيلها متاعب جمة ، واستطاع بتحدي كبير أن ينهي تحضير رسالة الماجستير في ظرف سنتين وهو أمر لا ينجزه أغلب الطلاب ، فما إن حلت سنة 1980م

إلا وقد أنهى انتهى من تحضير رسالته تلك ، إلا أن قدر المتاعب والعوائق كان دائما جزءا أيضا من مساره الطويل ، حيث ورغم إتمامه لرسالة الماجستير في وقت قياسي إلا أن مناقشته لها تأخّرت بسب أن بعض أعضاء اللجنة الذين أوكل لهم عمل الأستاذ عبد العزيز قد كانوا خارج مصر ، وبقي ينتظر دخولهم حتى يناقشوا عمله ويمنح شهادة تخرجه ، ولم يمكن من ذلك إلاّ في مطلع سنة 1982 ، أين برمجت له جلسة المناقشة ، ويتحصل بناء عليها على شهادة الماجيستير في الفنون الإسلامية (الفترة العثمانية) وبتقدير ممتاز[24] .

خلال هذه المحطة ينتابنا تساؤلا شيقا وجوهريا ، هو كيف كان يعيش الأستاذ العزيز حينما تأخرت مناقشة رسالته في الماجستير لمدة سنتين ؟ بمعنى ماذا فعل الأستاذ سنوات (1980 – 1982) ؟

شخصية الشيخ عبد العزيز هي شخصية لا تعرف للركون والدعة مكانا ، ولا انتظار المستقبل بعقلية المتفرج ، بل ازداد نشاطه خلال هذه المرحلة أكثر من أي وقت مضى واعتبرها فرصة عظيمة لتحقيق آليات التميّز في تخصصه ، والتي قد لا تتاح لها مستقبلا ، حيث اغتنمها فرصة لزيادة المعارف الميدانية في علم الآثار ومحاولة استخدام آلياته النظرية التي أخذها بالتعلم ، وتوظيفها في الواقع ، وكان له ذلك من خلال تكثيف زياراته إلأى المواقع الأثرية ، فكان كثير الترحال في مختلف أقطار العالم ،حيث زار مختلف المعالم الأثرية والمتاحف المتخصصة في العديد من البلدان العربية والأوروبية ، من أجل تحصيل و توثيق المعلومات من مصادرها والتأكد من صحتها ، وكذا توظيف ما تعلم واقعا على الأرض ، وكان يقول دائما في هذا الباب بأنه ما قام بكل هذا إلاّ لأجل ترى عيناه الحقيقة ، حتى لا يبق حبيس دفات الكتب ومعلومات صفحاتها ، وأنه يتحمل متاعب تحصيل الحقيقة ذاتيا وبأم العين ، على أن يوثق معلومات مغلوطة قد تنقض الأمانة العلمية المنوطة بأهل العلم .

وقد كلفته أمانة هذه الرسالة ، غيابه الطويل و المتكرر عن أرض الوطن ، وهو ما جعله يعيش أكبر محنة بعد وفاة أمه ، وهي فقدان أبيه (محمود) سنة 1980 دون رؤية لحظاته الأخيرة ، ولا التمكن من حضور جنازته ، و قد بقيت له هذه اللحظات

محطات سوداء وذكرى مؤلمة ، نكأت له جراح فقدان أمه أيام الاحتلال ، وقد كان يتعذب كثيرا لهذه اللحظات ، كلما كان يسترجعها .

07 – بقية مسيرته في الجزائر ومنجزاته حتى وفاته (1981 – 2021)

شكّلت فاجعة فقدانه لأبيه وضع حدّ للبقاء في القاهرة ومواصلة إتمام مسار الدكتوراه في تخصصه ، ليعود بأدراجه بعد مناقشة الماجستير إلى الجزائر ، ويلتحق رسميا بالجامعة الجزائرية بداية من الموسم الدراسي (1981 – 1982م) ، وقد كانت في حاجة ماسة لأبنائها ، وفيها أمضى ما يقارب الأربعين سنة معطاء وبذات الشوق والقوة والنفس العالي حتى التحق بالرفيق الأعلى ، وكل من عايش الأستاذ عبد العزيز يلتمس في الصدق في التعليم ، والعطاء العلمي المستمر، وأنه كان يعتبر رسالته هذه مهمة مقدسة أعظم وأشرف من أن توضع في خانة الوظيفة ، وتفانى لأجلها وضحى كثيرا ، وقد لها جهده وماله وعلى حساب صحته في كثير الأوقات وكان يقول دائما[25] : **" مهمة الأستاذ شريفة وعظيمة وغير منوطة بالمكان ولا الزمان ، وأن واجبه هو أداء رسالته كاملة وبإتقان ، من خلال نشر الوعي الصحيح أينما كان"**

وأثناء تدريسه في الجامعة سجّل لأجل الحصول على شهادة الدكتوراه ، وقد تحصل فعلا على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ والآثار الإسلامية من جامعة السوربون الأولى بباريس- فرنسا- وقسم الآثار بجامعة الجزائر ، بتقدير مشرف جدا مع تهنئة لجنة المناقشة.

وبالإضافة إلى التدريس فإنه كان نشطا داخليا وخارجيا من خلال جوانب متعددة نذكر منها:

- أستاذ متعاقد مع جامعة حائل بالمملكة العربية السعودية ومسئول تكوين فيها، وقد لاق الإشادة والتكريم فيها.

- عضو في فريق دائم في مشروع المسح الأثري والتنقيبات وأعمال الصيانة والترميم في موقع فيد بمنطقة حائل ، بين سنوات (2012 – 2017) .
- مدير مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني ، وذلك منذ سنة 2003 حتى سنة 2018.
- عمل ابتداء من سنة 2005 كمنسق عام لشبكة مخابر البحث المكلفة بالمشروع الوطني لإنقاذ التراث المخطوط ، وهو مشروع مشترك بين مجموعة مخابر بجامعات وطنية هي: (الجزائر وهران وقسنطينة) ، تحت إشراف وزارة التعليم العالي.
- المدير العلمي والإداري لحفرية المنصورة بتلمسان بين سنوات 1985 – 1994م.
- خبيرا لدي عديد الهيئات الجامعية والعلمية في كل من السعودية ومصر والكويت وسوريا .
- منسق جمعية الآثريين العرب بالجزائر وعضو مؤسس لمجلس إدارتها بالقاهرة بين (1998 – 2003) .
- منسق الإتحاد العام للآثريين العرب بالجزائر وعضو مجلس إدارته بالقاهرة ابتداء من سنة 2003 .

إنتاجه العلمي :

له العديد من الكتب منها:

- كتاب الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ، دراسة أثرية فنية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان- 1990.
- مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، دراسة في عمرانها وعمارتها وفنونها ، دار زهراء الشرق للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، 2005.

- جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان (669 – 869هـ/ 1269 – 1465م) ، دراسة أثرية فنية جمالية ، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام ، الجزائر ، 2007.
- الفكر العمراني للمسلمين وتطبيقاته العلية ، مدينة المنصورة نموذجا ، شركة بن باديس للكتاب ، الجزائر ، 2011.
- العمارة السكنية بتلمسان في الفترة الزيانية المرينية ، دراسة لأنماطها ومظاهر تطورها ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2012.
- مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية عمرانا وعمارة وفنا ، مؤلف جماعي ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2006.

يضاف إلى كل ما ذكرنا العديد من الكتب المخطوطة التي تركها للطبع ، كما نشر عشرات المقالات في المجلات المحكمة الوطنية والدولية .

واستمر في رسالته العلمية والتربوية هذه حتى توفته المنية في 25 أفريل 2021 الموافق ل 13 رمضان 1442 في بيته العائلي في الجزائر العاصمة .

وفي الأخير ومن خلال تجربتي معه من حيث الأخذ العلمي ، وكذلك مرحلة الإشراف على أطروحتي في الدكتوراه ، فإنني أشهد شهادة لله ، بأن المعلم والمربي ، والأثري المؤرخ عبد العزيز محمود لعرج ، كان له فضل كبير في بنائنا معرفيا ومنهجيا وفكريا وحتى أخلاقيا ، وذلك نظير ما قدّمه لنا من تكوين علمي متميز ،ومن حسن تعامل ، وعطاء علمي راق ، وقوة بناء ، أشعرتنا بالمكانة والمسؤولية ، والتوق إلى المستقبل ، وهو من النجوم التي أضاءت سماء تكويننا العلمي في الجزائر ، بكل صدق وتفان ، وسيبقى نجمه نستدلّ به ونحن نسير في ركاب رجال العلم وأهله ، وإن غادرنا جسده ومحيّاه ، إلا أن

روحه وكلماته وصدقه ونموذج تفانيه ستبقيه حي بيننا إلى أن نلق الله ، وصدق فيه قول الشاعر:

ما الفخـر إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء**
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء**
ففز بعلم تعش حيـا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء**

إنه مربي الأجيال ، والأب العزيز الذي رسّخ فينا ونحن في مدارج العلم ، بأن العلم هو طريق النور، وأن السائر فيه يتلألأ من نوره كل يوم والناس من حوله شهود ، وعلّمنا بأن رسالة العلم أمانة وإن هرمنا وشخنا ، والأداء فيها واجب وإن قصّر كل الناس وقصروا ، وأن الذي يقابل فيها جزاء العلم بفتات من الدنيا فهو واهم ولا يعرف للعلم قدرا ، لأنه لا جزاء للعلم إلا بما يقابلنا به رب الناس من العطاء ... ورسّخ فينا بأن طريق العلم شعاره (الصبر) ،لأنه طريق المتاعب والمشاق ، وفقدان متعة الأحبة والأحباب إلا أنه في النهاية متعة لا يشعر بها إلا صاحبها الذي تجرد وصدق ، وجزاء لا يعرف قدره إلاّ يوم علو المقام مع الأنبياء والشهداء .

وكأنه في هذا تمثّل قول الشاعر:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلى على جسر من التعب

تعلمنا منك معلمنا العزيز وأنت في منصات الدرس تؤدي بكل اقتدار، وتقدم لطلابك وسامعيك بكل وسع وتوسع وتفان ومنهج راق في الأداء ولم تتبدل أو تتحول رغم مرّ السنين ، بل وتحاول دائما الإبداع في العطاء ما استطعت ، وتجهد نفسك في مواكبة تطورات العصر ولا تجعل شيئا منه يفوتك وتبدوا لنا فيه متحكما بل ومبدعا أيضا .

تعلمنا منك ونحن نقص عليك هموم الجامعة ومعيقاتها وكيف أن أهل الصدق فيها يعيشون غربة حتى ظن البعض منهم أن المبادئ صارت معيق لتحقيق المكانة، فأجبتنا إجابة اللّبيب الذي صقلته الأيام وقلت لنا كونوا كبارا في الجامعة وإياكم أن تنقادوا للسفاسف فيها ، واتركوا لأهلها ، لأنكم إذا انقدتم إليها ستبعدكم عن الرسالة الأعظم والمكان اللائق الذي ينبغي أن يحتويكم وأهلتم أصلا لأجله، وكأنه أراد أن يرسّخ في نفوسنا مبادئ التسامي الإيجابي الذي ينبغي أن يتحلى به رجال العلم متمثلا مبدأ التعامل مع النفس القائل: :

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص390– ص413
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

" علم نفسك التحليق تكره الإسفاف وعرفها العز تنفر من الذل واشغلها بالعظائم حتى لا تأخذها الصغائر"

تعلمنا منك بأن البطل الحقيقي المنتج لكل خير هو بطل اليراع ، وكان بحق هو بطله ، وقد جعله سلاح له أوحد في الحياة لم يصوّبه إلاّ في مواطن يبدع فيها وينفع الناس بها ، وكم كان حساسا أن لا يكتب إلاّ ما يكون راض فيه أشد الرضا ، ويسرّ يوما أن يراه ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وكأنه وضع قول الشاعر صوب ناظره حينما قال :

ما من كاتب إلاّ سيفنى

ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء

يسرك يوم القيامة أن تراه

لن ننسى منك تعلما ، وأنت تجاهد بحق من أجل نجاح نشاطاتك العلمية ، بأداء يندر في الجزائر بالنظر لحرصك الشديد على التميز في اختيار المواضيع وفي التنظيم ، لدرجة أنك تجهد نفسك في سبيل نجاح مشاريعك العلمية وتحقق ما يسعد ويريح زوارك وأهل البحث ورتاع مجالس العلم ، وكل ذلك كان على حساب صحتك ومالك ، فأنت بكل شهادة تقدم للعلم بلا حساب .

وكم كان رجال العلم من خارج الجزائر يشيدون بك ويرفعون لك المقام ، ويقولون لنا بأنك كنز لو تعرفون قدره ، ولكن قدر الجزائر هكذا لا يعرف رجالها إلا حينما يغادرون الحياة ، حينها فقط ينادي الكل طولا وعرضا بأن للجزائر رجال ، ولكن رحمهم الله .

لن ننساك مشرفي الغالي ، وكنت بحق من طينة الكبار وأنت تؤطرنا وتوجهنا لطريق النجاح في البحث العلمي ، وتحسن التعامل مع طلابك بما يشدّهم للبحث العلمي حبا وتحديا ، وتجذبهم إلى التفاني في إعداد البحوث المتميزة التي تشكل الإبداع والإضافة ، كم كنت تركز دائما على ضرورة اعتماد المصادر العلمية الأصيلة في إعداد البحوث لأنها هي منطلق الإبداع وتشكيل الهيبة للبحث العلمي ، وفي ثنايا وأعماق البحث كنت تربّينا

على التكوين النقدي البناء باعتباره جوهر المنهج التاريخي الأصيل ، وهو الجسر الأكبر في الإبداع التاريخي ، لذلك كنت تشدد علينا في مراقبة الأعمال العلمية والحرص على أدق تفاصيلها حتى تخرج تلك الدراسات في أبهى صورة منهجا ومضمونا ، ولن أنسى قولتك لي: **"يا مصطفى اعتبر أطروحتك مثل ابنك ، أترضى أن يخرج ابنك مشوها أو ناقصا "** ، كلمات كانت تهزني حقيقة وتشعرني بمسؤوليات مضاعفة لا مجال فيها للكسل أو تهاون أو التسرّع والتسارع في إنجاز ما نكتب .

لن أنسى ما حييت موقفك يوم مناقشة أطروحتي ذات رمضان وقد نشف ريقي تماما بعد مناقشة دامت أزيد من سبع ساعات ، حتى ما عدت أطيق جواب ، فإذا بك كالغيث يلوح لعطشان ، وكلماتك مثل قطرات الرحمة تحيي ما قد جف ومات ، وفي ثنايا كل هذه المشاعر التي تخصّني ، برزت أمام رجال العلم يومها كبيرا مثل الجبل الشامخ ، لا من حيث المتابعة ، ولا من حيث المناقشة ، ولا من حيث ردود أفعالك في الأخير بصفة شاملة على جلّ الملاحظات المطروحة ، لن أنسى عظمة ردّك وطرق إقناعك ، والكل ناصت باهتمام لكل ملاحظة تبديها ، فكنت تخرج دررا أستفدنا منها جميعا أساتذة وطلابا .

كم يحلو الكلام ويطول ونحن نتكلم على هذه الشخصية العلمية المتميزة والتي تشكل نموذجا لرجال العلم العظماء الذين افتقدناهم في زماننا فبات البحث العلمي هشا افتقد قوته بافتقاد أمثاله ، ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نتوجه بعبرات العين ويد الضراعة الصادقة والخاشعة لرب الملكوت أن يرحمه ، ويكرم مثواه ويعطر ثراه بماء الكوثر ويجعل الجنة مثواه ومأواه ومهناه .

نودّع بموته أب غال حنون ، لن نفتقده نحن الأقربون فقط ، بل افتقدته كل الجامعة الجزائرية وأبعد ، كيف لا وهو أحد ركائز بنائها التعليمي والتاريخي في أجلّ صور الحسن ، وفقدته الجزائر وهو أحد أعلامها الذي ضحوا بالغالي والنفيس من أجل أن يرى الناس بأن للجزائر أعلام ورجال .

فقده رفاقه وأهله وكان لهم ظل يستظلون به ، وفقده أهل العلم عموما و أنا منهم لأنه كان كنز لم نحسن الاستفادة منه ، و نموذج لم نغتنم حياته للنهل منه ، وبذلك كم ضيعنا وضيعنا وجوده معنا .

5. قائمة المصادر والمراجع:

- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .
- مقابلة مع علي لعرج ، يوم 26 أبريل 2021 بالجزائر العاصمة .
- محاورة مع محمود لعرج ابن الأستاذ عبد العزيز لعرج رحمه الله خلال شهر أبريل 2022.
- علي خنوف ، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا ، ط.1،منشورات الأنيس، الجزائر، 2011 .
- بورمضان عبد القادر، الثورة التحريرية الجزائرية بمنطقة جيجل(1954- 1962م) ، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. صالح فركوس، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة 08 ماي 1945، 2014 .

6- الهوامش:

[1]- علي خنوف ، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا ، ط.1،منشورات الأنيس، الجزائر، 2011 ، ص. 7-8.

[2]- علي خنوف ، مرجع سابق ، ص. 27.

[3]- نفسه ، ص. 27.

[4]- نفسه ، ص. 183.

[5]- محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

[6]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[7]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[8] - بورمضان عبد القادر، الثورة التحريرية الجزائرية بمنطقة جيجل(1954- 1962م) ، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. صالح فركوس، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة 08 ماي 1945، 2014 ، ص.43.

[9]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة ./ محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

[10]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[11]- مقابلة مع علي لعرج (م1946م) أخو عبد العزيز ، يوم 26 أبريل 2021 ببيت عبد العزيز بالجزائر العاصمة .

[12]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[13]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[14]- الطاهر هو الأخ الأكبر لعبد العزيز وكان سنده العظيم أيام الشدة وقد توفي سنة 2017م

[15]- وقد ذكر شيوخ وقدامى سكان قسنطينة ، بأنها سميت برحبة الصوف ، لأنها كانت سوقا للصوف الطبيعي.

[16]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[17]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[18]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[19]- مقابلة مع علي لعرج (م1946م) أخو عبد العزيز ، يوم 26 أبريل 2021 ببيت عبد العزيز بالجزائر العاصمة .

[20]- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم : 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة .

[21]- محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز ، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

[22]- محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز ، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

[23]- محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز ، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

[24]- محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز ، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

[25]- محمود لعرج ، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز ، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.